

مقدمة الناشرين

كتاب « أزهار الرياض في أخبار عياض » ، من خير ما أُلّف في أدب المغاربة ، نرجو أن ننشر بنشره آية فَنَخَار من مجد علماء الإسلام ، وأن نضيف إلى الأدب العربي الخالد ، صفحة مُشْرِقة من الأدب المغربي الزاهي الألوان ، وأن نضع بين يدي العلماء والنقاد خير الوثائق وأنفس المصادر التي يُعتمد عليها في تاريخ الآداب .

أما مؤلفه فهو حافظ عصره في علوم الدين ، وحُجّة زمانه في علوم الدنيا ، وخاتمة أدباء المغرب ، الذي جمع الشعر والكتابة والخطابة ، والمحاضرة والمسامرة ، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني ، صاحب « نفع الطيب » وغيره من الكتب الممتعة . تُوّفى سنة إحدى وأربعين وألف للهجرة بالقاهرة .

وأما المؤلف في ترجمته وسيرته فهو قاضي المغرب الأجل ، وحافظه الأكبر ، الإمام الطائر الصيت ، عياض بن موسى اليحصبي السبتي صاحب الشفاء ومشارك الأنوار وكثير من المصنفات الجليلة في الدين وعلوم اللغة والنحو والأنساب . تُوّفى سنة ٥٤٤ هـ بمراكش .

وكتاب أزهار الرياض في أخبار عياض ، هو كصنوه نفع الطيب ، في أخبار لسان الدين بن الخطيب ، كلاهما قد تضمن ترجمة واسعة خصبة النواحي ، لعلم مفرد من أفذاذ الرجال في المغرب والأندلس ، وقد استطاع مؤلفهما أبو العباس المقرئ أن يجعل كلا من صاحبي الترجمة مركزاً لدائرة معارف تاريخية وأدبية ، تحوى أخبار عصره ومصره ، لا ، بل تستوعب كثيراً من أخبار الأجيال التي تعاقبت في الأندلس والمغرب إلى زمان وجوده ، وهما لذلك جديران أن يُعدّتا من أعظم الأركان التي يقوم عليها تاريخ تلك البلاد .

وبين الكتابين وجوه من الشبه ، وتشابه في المزاي ، لا تريد إحصاءها في هذه المقدمة الموجزة ، وبحسبنا أن نذكر هنا المنهج الذي انفردا به دون أكثر كتب التراجم العربية القديمة ، فإن مؤلفنا الشيخ المقرئ يرسم للترجمة خطة واضحة ، ويرتب عناصرها ترتيباً حسناً ، ويتغلغل في التفاصيل ويتعمق ، ويتبع أخبار المترجم حتى قبل ولادته ، ويتجسس عن أوليته وأسرته ، ويبحث عن نشأته في صباه وشبابه وكهولته ، ثم يذكر شيوخه الذين أخذ العلم عنهم ، في كثير من التفصيل والعناية بذكر مؤلفاتهم ، ويخص بالعناية النتائج الأدبية المترجم ، ويذكر تأليفه ، وتصرفه في الحياة ، وعمله في خدمة السلطان ، ووفاته ، وآراء الناس فيه .

منهج المؤلف في أزهار الرياض ونفح الطيب متأثر تأثراً ما بمنهج لسان الدين ابن الخطيب في كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة ، فإن هذه الكتب تتشابه في العناصر التي تتألف منها الترجمة ، وفي أسلوب الإنشاء ، إلا أن لسان الدين كان أميل إلى مجانبة الاستطراد الذي فشا في تواليف المقرئ ، وطبعها بهذا الطابع الخاص .

ألف المقرئ كتاب أزهار الرياض في مدينة فاس ، في المدة التي بين سنتي ١٠١٢ و ١٠٢٧ للهجرة ، إذ كان قد نزع عن وطنه لأسباب سياسية ، واتخذ فاس مقراً له ، وكان الباعث له على تأليفه رغبة أهالي بلده نلّسان في التعريف بالقاضي عياض ، عالم المغرب الأوسط وقاضيه الأشهر ، وقد ألمّ في هذه الترجمة بكثير من شئون بلاد الأندلس ، وذكر طائفة من أخبار لسان الدين بن الخطيب وأحوال المسلمين في عصر الجلاء عن الأندلس ، على سبيل الاستطراد ، ثم ألف كتاب نفح الطيب بعد سنة ١٠٢٨ في القاهرة ، استجابة لرغبة بعض أعيان دمشق وعلمائها في التعريف بلسان الدين بن الخطيب . فذكر كثيراً من شئون

الأندلس في تفصيل وترتيب عجيبين . ومن أجل هذا يظهر المتأمل أن المؤلف كان مضطرا أن يكرر في نفع الطيب طائفة من الأخبار التي ذكرها من قبل في أزهار الرياض ، لبعدها ما بين الأفتين اللذين ظهر فيهما الكتابان .

وقد يمتاز أزهار الرياض ، فوق اشتماله على ترجمة القاضي عياض ، بطائفة كبيرة من الأخبار والنصوص المغربية والأندلسية ، التي لم ترد في نفع الطيب ولا في غيره من الكتب المطبوعة حتى الآن ، وإنما بادت أصولها ، أو هي لا تزال سرا مطويا في خزائن الكتب لم تنشره المطابع بعد . ولذلك يُعدّ نشر هذا الأثر الجليل اليوم ثروة جديدة تضاف إلى ما سبق نشره من آثار المغرب والأندلس في عالم الدراسات العربية .

وكان الفضل في إخراج هذا الكتاب الجليل ، على هذا الوضع الأنيق ، « لـمكتب التبادل الثقافي » التابع للمعهد الخليفي بتطوان ، الذي أسسه سمو الخليفة العظيم مولاي الحسن بن المهدي ، فقد اختط خطة موفقة في نشر الكتب النفيسة ، التي تحيي آثار السلف ، وكان هذا الكتاب با كورة أعماله ، وأول ثماره . ولما عهد إلينا في تحقيق هذا الكتاب ، بالأسلوب العلمي الذي يجري عليه علماء المشرقيات ، فقتنا عما يوجد من أصوله المخطوطة والمطبوعة في دار الكتب المصرية ، فعثرنا منه على النسخ الآتية :

الأولى : النسخة المخطوطة الرموز لها في حواشي هذه الطبعة بالحرف (ط) ، ورقمها في دار الكتب المصرية (٢٠١٣ تاريخ) وهي في ألف ومئة وسبعين صفحة ، من القطع المتوسط ، طول الجزء المكتوب في كل منها عشرون سنتيمتراً وعرضه عشرة . وهي مخطوطة بخطوط مختلفة ، فالست والأربعون صفحة الأولى بخط مغربي جميل ، وما بعدها إلى صفحة ١٠٥٨ بخط نسخي معتاد ، ويتلو ذلك

اثنتا عشرة صفحة ومئتان تتضمن الروضة الثامنة ، وهي بخط مغربي مختلف النوع ، أقل جودة من الخط الذي بدى به الكتاب .

وبهذه النسخة خرم في موضعين :

الأول في الروضة الرابعة ، عند صلاة سيدى حسين الزرويلى وترجمة الشيخ أبى إسحاق بن الحاج ، وقد ترك الكاتب صفحتين خاليتين جاء بعدها تمة ترجمة ابن الحاج ، ثم وصل الكلام بذكر صلاة الجيلانى صفحة ٨٣٤ ، والثانى بعد تمام الروضة الخامسة ، ويشمل الروضتين السادسة والسابعة جميعهما ؛ ولا نعلم فى كم ورقة تكونان .

وجاء فى آخر هذه النسخة بالخط المغربى ما نصه :

« انتهى التأليف المبارك بحمد الله وتوفيقه ، وعلى نهج السلف الصالح وطريقه ، ليلة الاثنين من شهر الله المعظم رمضان ، بعد ما مضى منه عشرون يوماً ، من سنة ثلاث وأربعين بعد المئتين والألف ، غفر الله لكاتبه ولما لكه » .

وبعد ذلك كلام قد طمس طمساً فلم نتبينه ، يحوى اسم المالك والناسخ للكتاب .

وهذه النسخة كما قدمنا ليست من خط كاتب واحد ، كما أنها ليست كاملة ولا جيدة التصحيح .

الثانية : نسخة الجزء الأول المطبوع بتونس ، بالمطبعة الرسمية العربية سنة ١٣٢٢هـ ، وهى التى رمزنا لها فى الحواشى بالحرف (ت) وهذا الجزء فى ٣٤٠ صفحة من القطع المتوسط ، فى كل صفحة عشرون سطراً ، وتنتهى بترجمة لسان الدين ابن الخطيب ، وهذه الطبعة خالية من الحواشى والشروح والفهارس ، وفيها كثير من مواضع النقص ومن التحريف والخطأ المطبعي .

الثالثة : النسخة المحفوظة بالخرانة التيمورية في دار الكتب المصرية ، ورقمها (٧٩٤ تاريخ) ، وهي في أربعة أجزاء :

الجزء الأول منها هو المطبوع بتونس المقدم ذكره ، المرموز إليه في حواشي طبعتنا بالحرف (ت) .

والجزء الثاني مخطوط يحتوى على بقية الروضة الأولى ، وتبقى منها بقية تأتي في الجزء الثالث .

والجزء الثالث يتضمن بقية الروضة الأولى كلها وتنتهى في الصفحة ٤٣ ، والروضة الثانية كلها إلى الصفحة ١٠٥ ، ثم الروضة الرابعة جميعها إلى نهاية هذا الجزء في صفحة ٤٤٢ .

والجزء الرابع يحوى الروضة الرابعة من أوله إلى الصفحة ٣٠٥ ثم الخامسة إلى الصفحة ٤٥٠ .

وهذا الجزء ينتهى بأخر رحلة أبي عبد الله المقرئ . وفي نهايته بخط المرجوم أحمد تيمور باشا ما نصه :

« والروضة السادسة والسابعة والثامنة تأتي في جزء خامس » . وليس لهذه النسخة جزء خامس في الحقيقة ، وهي أجود خطأً من النسخة (ط) .

وجاء في آخرها أيضاً أنها نقلت من نسخة قديمة في مكتبة الملك الظاهر بدمشق ، وأن كاتبها هو محمد صادق فهمى المالح سنة ١٣٤٥ هـ

والنسخ الثلاث من هذه الأصول متشابهة في كثرة ما بها من الخطأ والتعريف والكلمات الغامضة ، التي تصعب قراءتها أو تحار في فهمها العقول .

وقد جعلنا النسخة (ط) أساساً للطبع ، وعارضنا بها الجزء الأول المطبوع بتونس ، وأثبتنا ما وجدناه من خلاف بينهما بالزيادة والنقص ، وصححنا الأخطاء

اللغوية والنحوية والهجائية الكثيرة ، ولم نكتف بهذا ، بل كنا نفتش عن كل خبر في مظانه من المكتب المطبوعة ، مثل نفح الطيب المؤلف ، والإحاطة لابن الخطيب ، وتاريخ ابن خلدون ، والاستقصا لسلوى ، كما كنا نلجأ في شرح الكلمات الأندلسية والمغربية التي لم ترد في المعجمات العربية ، إلى تكملة المعجمات العربية للعلامة دُوزي ، وجعلنا كل ملاحظتنا حواشي في أسفل صفحات الكتاب إيثارة لتعجيل الفائدة للقارى . ولم نشرح من مفردات الألفاظ إلا ما ظننا أنه يغمض على القارى المتوسط ، وما اعتقدنا أن معجماته ليست في أيدي جميع الناس ، وتركنا بعد ذلك الفرصة لذهن القارى ، لينشط إلى البحث عما يروم البحث عنه من معانى الأشعار ، ولم نشرح شيئاً من ذلك إلا ما كان ضروريا لا بد منه .

وقد وضعنا في الهوامش الجانبية الخارجية عناوين للمعاني الجزئية ، لتجزئة الموضوع الواحد المطول ، إلى عناصره التي يتألف منها ، وفي ذلك إراحة للذهن ، وتفصيل لمجمل الموضوع ، وتنبيه على مواضع الانتقال ؛ ووضعنا في الهوامش التي في الجهة الداخلية أرقام صفحات النسخة المخطوطة المرموز إليها بالحرف (ط) أمام السطر الذي تبدأ عنده الصفحة الجديدة من الأصل المخطوط ، لنسهل المضاهاة على من أراد أن يتتبع ذلك الأصل ، ويعارض به طبعتنا هذه . وقد عملنا لهذا الجزء فهرس مُنوعة ، تيسيراً للبحث والمراجعة .

والله نسال أن يوفق المعهد الخليف ويوفقنا إلى إخراج البقية من أجزاء هذا السفر الجليل ، إنه أكرم مسئول ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ما

مصطفى السقا ابراهيم الايبارى عبد الحفيظ سبهي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

[مقدمة المؤلف]

الحمد لله الذى أعلى مراتب العلماء الأعلام ، وزكى منهم العقول الراجحة والأحلام ، ومنحهم ما أثر تفصُر عن جمعها^(١) المعابر والأقلام ؛ ومفاخر طارت كل مطار . وجعل معاليهم زاهرة زاهية ، وأضواء فهمهم نامية سامية ، وأنواء^(٢) علومهم هامة هامية^(٣) ؛ يواكب الأمطار^(٤) ، وأطعمهم على دقائق الأسرار . وهداهم وهدى بهم إلى ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك ؛ وجلى بمشارق الأنوار من معارفهم وآدابهم ، عن تمسك بأذيالهم وأهدابهم ، غياهب الجهل الحوالك^(٥) ؛ فأضاءت الأقطار . وعرفهم المقاصد الحسان ، والوسائل المُتنبِطَة والإلماع^(٦) ، بأصول الرواية والسمع ؛ والإعلام ، بحدود قواعد الإسلام ؛ وأرشدهم إلى التنبيهات المُستنبِطَة السامية الأخطار ؛ حتى رفلوا من حُلل التحقيق السابغ ، فى مطارف^(٧) وبرود ؛ وورَدُوا من مناهل التوفيق السائغ ، كل عذب

(١) فى ت : « عن فهمها » .

(٢) الأنواء : النجوم ، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى ظهورها ، فيقولون مثلا : مطرنا بنوء الثريا .

(٣) هامة هامية : أى تسيل فى غزارة وانصباب .

(٤) واكب الأمطار : هاطلها .

(٥) غياهب الجهل : ظلماته . والحوالك : الشديدة السواد .

(٦) الإلماع : التنويه والإشارة .

(٧) المطارف : أردية من خز مربع ذى أعلام ؛ الواحد : مطرف كمنبر ومقعد .

برُود^(١)؛ وتَسَمَّوا من حُجِّجِ الحقِّ البالغه ، الروضِ المِعْطَارِ ؛ واجْتَنَوْا
 أَزَاهِرَ^(٢) ، أَصْحَتِ مُنِيَّةَ الطَّالِبِ ، وَبُعِيَّةَ الرَّائِدِ^(٣) ؛ وَاجْتَلَوْا^(٤) جَوَاهِرَ^(٥) ، نُظِمَتْ
 مِنْهَا الدُّرَرُ وَالقَرَائِدُ ؛ فِي أَجْيَادِ^(٦) الأَسْطَارِ . فَإِنَّ أَمَّهُمْ نَاقِصٌ عَدِيمٌ ، أَلْفَى لَدَيْهِمْ
 الفُنِّيَّةَ وَالإِكْمَالَ ؛ أَوْ قَصَدَهُمْ عَليْلٌ سَقِيمٌ ، وَجَدَ فِي يَدَيْهِمُ الشِّفَاءَ ، فَجَالَ غَايَةَ
 الأَمَالِ ، وَظَفِرَ بِمُنْتَهَى الأَوْطَارِ^(٧) . وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ
 أَفْضَلِ العَالَمِينَ بِإِطْلَاقِ ، سِرَاجِ المُرِيدِينَ ، وَكَنْزِ العَارِفِينَ ، الَّذِي لَا يُحْشَى
 مَعَهُ إِمْلَاقٌ ، مُحَمَّدَتْنَا العُظْمَى ، وَوَسِيْلَتْنَا السُّكْبَرَى عِنْدَ المَلِكِ الخَلَّاقِ ؛ صَاحِبِ
 المُعْجِزَاتِ البَاهِرَةِ ، الَّتِي اهْتَدَى بِهَا ذَوُو الأَفْكَارِ ، وَالآيَاتِ الظَّاهِرَةِ ، الَّتِي
 حَصَلَ بِهَا التَّمْيِيزُ^(٨) لِمَنْ لَهُ أَسْتَدْكَارٌ ؛ المَوْطَأُ الأَكْنَافُ^(٩) وَالأَخْلَاقُ ، المُسْتَقَى
 مِنْ أعْظَمِ الذِّخَائِرِ ، وَأَنْفَسِ الأَعْلَاقِ^(١٠) ، المُخْتَارُ مِنْ قَبْلِ نَشْأَةِ آدَمَ وَالمَكُونُ

(١) البرود : البارود .

(٢) في ط : « أزهارا » .

(٣) الرائد : الذي يتقدم القوم يبصر لهم الكلاء ومساقط الغيث .

(٤) اجتلى : نظر .

(٥) في ت : « بواهر » .

(٦) في ت : « بأجياد » .

(٧) الأوطار : جمع وطر « بالتحريك » ، وهو الحاجة .

(٨) في ت : « التمهيد » .

(٩) الموطأ الأكناف : الكريم المثل الأخلاق .

(١٠) الأعلاق : جمع علق ، وهو النفيس من كل شيء .

وقد ذكر المؤلف هنا — على سبيل التورية — أسماء طلائفة من الكتب ، للقاضي
 عياض وغيره ، وهي : « الروض المعطار » ، في أخبار الأقطار « لأبي عبد الله الحميري ؛
 و « منية الطالب » ، لأعز الطالب « لم يعلم مؤلفه ؛ و « بغية الرائد » ، لما تضمنه حديث
 أم زرع من الفوائد « ؛ و « الفنية » و « الإكمال لكتاب المعلم » ، في شرح صحيح
 مسلم « ، وهذه الثلاثة للقاضي عياض ؛ و « سراج المرئيين » لأبي بكر بن العربي .
 و « كنز العارفين » لم يعلم مؤلفه ؛ و « الذخائر والأعلاق » ، في آداب النفوس
 ومكارم الأخلاق « لأبي عبد الله الباهلي الإشبيلي ؛ و « الموطأ » للإمام مالك .
 و « المنتقى » اسم لعدة كتب .

لم تفتح له أغلاق ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عليه وعلى آله وأصحابه ، الذين أنجوهم في
سماء الخلق أنثلاق ؛ صلاةً وتَسْلِيمًا دائِمَيْن ، ما أنشئت في ثنائه الأحدى ،
وأنشدت بفنائه الحمدي ، القصائد والأبيات والأشطار . وبعد (١) :

[٣]

فيقولُ أحمدُ ذو القُصو رِ المَقْرِيُّ إذا انتسب (٢)
جَبَرَ المَهِيمُنْ صَدْعُهُ ووقاهُ سَيِّءَ ما اكتسب
وَحَبَاهُ مِنْحَةً مُؤْمِنٍ مَحْضَ العِبَادَةِ وأحتسب (٣)

وأسدى إليه من المواهب أسناها ، ومن العواقب حسناها :

إنه لما سبق القضاء وجرت الأقدار ، بارتحالي عن الوطن المحبوب
والقرار ، بعد أن شممت عراره (٤) النجدي ولا أشجان ولا أكدار (٥) ، في عشيّة
لم يكن بعدها من عرار ؛ ونزحت عن بلد ، به الوالد وما ولد ؛ محلّ قطع
التمائم (٦) ، وفتح الكمام (٧) ، سقى الله عهداه (٨) صوب الغائم :
بلد تحفّ به الرياض كأنه وجه جميل والرياض عذاره (٩)

(١) في ت : « أما بعد » .

(٢) القصور : العجز .

(٣) محض العبادة : أخلصها . واحتسب : نوى بعمله وجه الله .

(٤) العرار : بهار البر ، وهو نبت طيب الريح ؛ يشير إلى قول الصمة القشيري :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

(٥) في ط : « بعد أن شممت عرارة النجد من الأشجان والأكدار » ؛ ولا يستقيم
بها الكلام .

(٦) التمام : خرزات كان الأعراب يعلقونها على أولادهم يتقون بها النفس والعين بزعمهم .
يريد بقطع التمام : وقت أن شب وترعرع .

(٧) الكمام : أغظية الزهر . يريد وقت تفتح زهرة صباه .

(٨) يريد « بالعهد » : جمع عهد ، وهو الزمان . وفي كتب اللغة أن العهد جمع العهد ،
وهو المطر بعد المطر . أما العهد للزمان فجمعه عهود .

(٩) العذار : جانب اللحية . وهذا البيت والذي بعده لسان الدين بن الخطيب .

وكانتْما واديه معصم غادة ومن الجسور المحركات سواره
 وكان ذلك وغصن النشاط يانع^(١) ، وبرود الشباب قشيب ؛ وشمل النفس
 مجتمع دون مانع ، وكأس^(٢) الأنس مزج بتسنيم القرب وشيب^(٣) ؛ وفود^(٤)
 الرأس غير خاضع ولا خانع ، إذ^(٥) لم تطرق ساحتَه ولم تجس خلاله جيوش
 المشيب ؛ حلت الحضرة الفاسية - حاطها الله - حيث المجالس خاصه ، بالعامه
 والخاصه ؛ والمساجد آهله معموره ، والشاهد بالزوار معموره ؛ وحال المعارف
 فضاضة ، والعوارف^(٦) الجليلة مناضه ؛ حضرة ديباجها ربيعي ، وامتزاجها
 بالنفوس طيبي ، ولم لا ، وقد نظمت الفاخر ونسقتها ، وجمعت الآثار ووسقتها ،
 جادتها عر السحب^(٧) وسقتها :

بلاد بها الحصباء در ورتبها صبير وأنفاس الرياح شمول^(٨)
 تسلسل منها ماؤها وهو مطلق وصح نسيم الروض وهو عليل
 فأقيت بها عصا التسيار ، وقاها الله من الآفات والأغيار ، وأقتفيت في
 ذلك سنن بعض سلفي الأخيار ؛ إذ كان أشهر أسلافنا الشيخ الإمام - صاحب
 التصانيف الشهيرة ، التي اقتادت المحاسن بزمام ؛ القاضي الأشهر ، العلامة

(١) الأصل في الينع : نضج الثمار .

(٢) في ط : « وكان » .

(٣) تسنيم : ماء في الجنة . وشيب : خلط (بالبناء للجبهول فيهما) . ولعله راعى
 المضامف إليه فذكر اللفظين .

(٤) الفود : معظم شعر الرأس مما يلي الأذن . ويريد بخضوعه وخنوعه : إيمانه
 من كبر وضعف .

(٥) في ط : « إذا » وهو تحريف .

(٦) العوارف : جمع عارفة ، وهي العروف .

(٧) في ت : « السحاب » .

(٨) الصبير : الزعفران ، أو هو خلط الطيب . وشمول : شمر ، أو ما برد منها .

الأظهر ، سيدي أبو عبد الله محمد [بن محمد ^(١)] ابن أحمد المقرئ القرشي ،
التَّمَسَانِي النِّشَاءَ والقَبْرَ ، أَفَاضَ اللهُ سِجَالَهُ ^(٢) الرَّحْمَةَ عَلَى مَنْوَى ذَلِكَ الْحَبْرِ -
انْتَقَلَ إِلَيْهَا أَيَّامَ السُّلْطَانِ المَرْحُومِ أَبِي عِنَانِ فَارِسَ ، فَوَلَّاهُ قِضَاءَ جَمَاعَتِهَا ، وَبَنَى
لَهُ ^(٣) المَتَوَكِّلِيَّةَ أَعْظَمَ المَدَارِسَ ، حَسْبَهَا ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ القَهَّارِسَ ،
وَأَشَارَ إِلَيْهِ الوَازِرُ ابْنُ الخَطِيبِ فِي كِتَابِ « الإِحَاطَةِ » الَّتِي أَحْيَيْتَ مِنَ التَّارِيخِ
الرَّسْمَ الدَّارِسَ .

ولم تزل كتب الأقارب والإخوان ترد عليّ ، وتثني عني أعنتائها إليّ ؛
وتكرّر وتعدّد ، وتنتاب وتتردد ، وتتنوع وتتجدّد ؛ فأرتاح إليها ارتياح
العُصْنِ عِنْدَ هَزَّتِهِ ، وَأَحِنُّ إِلَيْهَا حَنِينٌ كَثِيرٌ إِلَى مَعَاهِدِ عَزَّتِهِ :

يَا مَنْ يُذَكِّرُنِي حَدِيثَ أَحَبَّتِي طَابَ الحَدِيثُ بِذِكْرِهِمْ وَيَطِيبُ [٤]
أَعِدِ الحَدِيثَ عَلَيَّ مِنْ جَنَابَاتِهِ إِنَّ الحَدِيثَ عَنِ الحَبِيبِ حَبِيبٌ ^(٤)
وكثيراً ما يحرّك ذلك مني كامن شوق ، شبّ عمره عن الطوق ^(٥) ؛ وأجد
من لواعج الأوار ^(٦) ، ما وجدته الفرزدق عند ^(٧) مبيئته النوار ^(٨) :

(١) زيادة عن الإحاطة ونفح الطيب .

(٢) جمع سجل ، وهي اللو الضخمة المملوءة بالماء .

(٣) في ت : « وبذله » وهو تحريف .

(٤) جناباته : نواحيه .

(٥) أي جاوز حد الاحتمال ؛ مأخوذ من التل : « كبر عمرو عن الطوق » . قاله

جذيمة لعمر بن عدى ، ابن أخته رقاش ، حين رأى عليه طوقاً من ذهب كان له

في صغره ، وقد طوقته به أمه بعد غيبة غابها عنها ، في حديث طويل ، ذكره

الميداني في أمثاله وصاحب الثماموس في مادة « طوق » .

(٦) لواعج الأوار ، أي حرق نار الشوق .

(٧) في ت : « من » .

(٨) يشير إلى ندم الفرزدق لما طلق امرأته النوار في قوله :

ندمت فدامة الكسفي لما غدت مني مطاوعة نوار

بَلَدُ الْجَزَائِرِ مَا أَمَرَ نَوَاهَا كَلِفَ الْفَوَادِ حُبُّهَا وَهَوَاهَا
يَا عَادِلِي فِي حُبِّهَا كُنْ عَادِرِي يَكْفِيكَ مِنْهَا مَاوَاهَا وَهَوَاهَا

والحنين إلى الوطن مجال لكل حُرٍّ ومِضْمَارٍ !

إِيَّهِ أَحَادِيثَ نَعْمَانٍ وَسَاكِنِهِ إِنَّ الْحَدِيثَ عَنِ الْأَحْبَابِ أَسْمَارُ
وَلَيْسَ بِمُسْتَنْكَرٍ حَنِينُ النَّابِ ^(١) إِلَى عَطْنِهِ ^(٢) ، وَالرَّءْيُ إِلَى مَحَلِّ نَشَأَتِهِ وَوَطْنِهِ .
وَقَدْ رَوَيْنَا فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَنِينٍ سَيِّدِ الْوُجُودِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَصْحَابِهِ
إِلَى مَكَّةَ ، مَا لَا يَجْهَلُهُ إِلَّا مَنْ هُوَ عَنِ الْعُلُومِ بِمَعْزِلٍ . وَمِنَ الْأَبْيَاتِ السَّائِرَةِ :
كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلَفُهُ الْفَتَى ^(٣) وَحَيْنِيهِ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلٍ
وَرَبِّ ذِكْرِي أَثَارَتِ الْأَشْوَاقَ وَحَرَّ كَتْمِهَا ، وَأَنْشَبَتِ النُّفُوسَ فِي حَبَائِلِ
الْبُيُوسِ وَتَرَكَتْهَا ؛ وَكَمْ مِنْ مَاجِدٍ بَكَى لَفَقْدِ الْمَشَاهِدِ ، وَأَهْتَمَّ لُبَعْدِ الْمَعَالِمِ
وَالْمَعَاهِدِ :

سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ الْمَعَاهِدِ إِنِّهَا مَرَاتِعُ الْأَلْفَى وَعَهْدُ صِحَابِي
وَيَا سَرْحَةَ الْحَيِّ أَنْعَمِي فَلَطَمَالِمَا سَكَبْتُ عَلَى مَثْوَالِكِ مَاءَ شَبَابِي
فَلَلَهُ تِلْكَ الْمَعَاهِدِ ، مَا أَبْهَجَ مُحْيِيهَا ! وَحَاطَ ^(٤) بَعَيْنَ كَلَاءَتِهِ تِلْكَ الْمَشَاهِدَ ،
مَا أَطْيَبَ ^(٥) رِيَّاهَا ، حِينَ بَاكَرَهَا الْوَسْمِيُّ ^(٦) وَحَيَّاهَا :

(١) النَّابُ : النَّاقَةُ الْمَسْنُونَةُ ؛ وَهِيَ مَوْثِقَةٌ . وَقَدْ أُعَادَ الضَّمِيرُ عَلَيْهَا مَذْكَرًا ، كَأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى

الْأَصْلِ ، وَهُوَ النَّابُ مِنَ الْعِظْمِ ، فَهُوَ مَذْكَرٌ فِي الْأَشْهُرِ .

(٢) الْعَطْنُ : وَطَنُ الْإِبِلِ وَمَبْرَكُهَا حَوْلَ الْمَاءِ .

(٣) كَذَا فِي طَوْدِيَوَانَ أَبِي تَمَامٍ . وَفِي ت : « كَمْ مِنْ مَنْزِلٍ كَانَ يَأْلَفُهَا الْفَتَى » .

(٤) فِي ت : « وَبَعَيْنَ كَلَاءَتِهِ » .

(٥) فِي ت : « فَمَا أَطْيَبَ » .

(٦) الْوَسْمِيُّ : مَطَرُ الرَّيْبِ الْأَوَّلِ ؛ لِأَنَّهُ يُسَمَّى الْأَرْضَ بِالنَّبَاتِ . وَيَلِيهِ « الْوَلِيُّ » وَهُوَ
الْمَطَرُ الثَّانِي .

حَيًّا تَلْمَسَانِ الْحَيَا فَرُبُّوعِهَا صَدَفٌ يَجُودُ بِدُرِّهِ الْمَكْنُونِ^(١)
 مَا شِئْتَ مِنْ فَضْلِ عَمِيمٍ إِنْ سَقَى أَرْوَى وَمَنْ لَيْسَ بِالْمَمْنُونِ
 أَوْ شِئْتَ مِنْ دِينٍ إِذَا قَدَحُ الْهُدَى أَوْزَى وَدُنْيَا لَمْ تَكُنْ بِاللُّدُونِ^(٢)
 وَرَدَّ النَّسِيمُ لَهَا بِنَشْرِ حَدِيقَةٍ قَدْ أَزْهَرْتَ أَفْنَانَهَا بِفَنُونِ^(٣)
 وَإِذَا حَبِيبَةٌ أُمَّ يَحْيَى أَنْجَبَتْ فَلَهَا الشُّفُوفُ عَلَى عُيُونِ الْعُونِ^(٤)
 طَلَمَا ذَكَرْتَ الْأَبْلَةَ وَشَعْبَ بَوَّانِ^(٥) ، وَأَنْسَتْ صُرُوفَ الزَّمَانِ النَّخْوَانَ ،
 وَأَنْبَتَتْ أَزْهَارَ أَنْسِ ذَاتِ أَلْوَانِ ، وَثَمَارَ نَجْلِ مِنَ الْقُرْبِ^(٦) ، صِنُونِ وَغَيْرِ
 صِنُونِ^(٧) ، وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ بِالْجِيرَانِ^(٨) وَالْإِخْوَانِ ؛ وَالرُّوْضُ مَطْلُولُ
 النَّبَاتِ^(٩) ، مُخْضَرُّ الْعَذَابَاتِ^(١٠) ، مُخْضَلُّ الْجَنَبَاتِ^(١١) ، مُفَوِّفُ الْحَمَائِلِ^(١٢) ،

- (١) الحيا : المطر . وهذه الأبيات لسان الدين بن الخطيب .
 (٢) أورى : أنار وأضاء .
 (٣) نمر الحديقة : ما ينتشر عنها من رائحة طيبة .
 (٤) حبيبة أم يحيى : عين ماء بتلمسان مأوها عنب . (عن هامش الأصل المخطوط) .
 والشفوف : الرقة . والعون : البقر الوحشى . أى أن ماءها أصفى وأرق من
 عيون العون .
 (٥) الأبله : بلدة على شاطئ دجلة البصرة . وشعب بوان : بفارس ، وهو والأبله
 من متزهات الدنيا ، التى سار ذكرها .
 (٦) فى ت : « من العزب » .
 (٧) الصنون : المجتمعة ، أو التى أصلها واحد .
 (٨) فى ت : « بالأقارب » .
 (٩) مطلول النبات : مندى بماء الطل .
 (١٠) العذبات ، أى أطراف الأغصان .
 (١١) مخضل : مبتل . والجنبات : النواحي ؛ أى إنه غير جاف ولا متصوح .
 (١٢) مفوف : فيه بياض . والحائل : جمع خميلة ، وهى الأرض ذات النبات ؛ يصف
 نبات هذه الحائل وقد ظهر عليه النور الأبيض .

مُتَضَوِّعِ الشَّمَائِلِ^(١) ؛ مُنْسَابِ الْمَاءِ ، مُنْجَابِ السَّمَاءِ^(٢) ؛ وَالْعَصُونَ مُتَأَوِّدَةً
الْأَعْطَافِ^(٣) ، دَانِيَةِ الْجَنَى وَالْقِطَافِ ، وَالنَّسِيمِ يَعْْبِقُ نَشْرًا ، وَالْجَوْ بِتَأَلَّقِي رَوْنَقًا
وَبَشْرًا ؛ فَتَقْصُرُ عَنْهُ أَوْصَافِ ذَوِي^(٤) الْإِنْصَافِ :

وَالزَّهْرُ حَيَانًا يَنْعُرُ بِاسْمِهِ وَالنَّهْرُ قَابِلَنَا بِقَلْبِ صَافِي
وَلَا لِي الْأَنْدَاءُ^(٥) فِي الْغَدِيرِ غَرْقِي ، وَدَمُوعِ النَّهْرِ لَا تَرْهَقًا^(٦) ؛ وَالزَّهْرُ
يَسْقُطُ ، وَأَكْفُ الرِّيحِ تَكْتَبُ ، وَالغَامُ يُنْقَطُ :

كَأَنَّ أَكْفَ الرِّيحِ تَكْتَبُ أُسْطَرًا عَلَى النَّهْرِ إِلَّا أَنَّ أَحْرَفَهَا زُرْقُ
فَتَحْنِي عَلَيْهِنَ الْعَصُونَ قُدُودَهَا لَتَقْرَأَهَا جَهْرًا مِنَ الْوَرَقِ الْوَرَقِ^(٧)
وَالْوَرَقَاءُ تَهْتِفُ لَقَدْ إِفْ نَازِحَ ، قَتَيْحِجُ شَجْوِ الْجَادِّ وَالْمَازِحِ :

[٥]

رُبَّ وَرَقَاءٍ هَتُوفٍ بِالضُّحَى ذَاتِ شَجْوٍ صَدَحَتْ فِي قَنَنِ
ذَكَرَتْ إِفْنَا وَدَهْرًا صَالِحًا فَبَكَتْ شَجْوًا فَهَاجَتْ حَزَنِي
فَبُكَائِي رَبِّمَا أَرْقَهَا وَبُكَاهَا رَبِّمَا أَرْقَنِي
فَإِذَا تَبَدَّوْنِي أَسْعِدْهَا وَإِذَا أَبْدَوْهَا تُسْعِدْنِي^(٨)
وَلَقَدْ تَبَكَّيْ مَا أَفْهَمَهَا وَلَقَدْ أَبَكَّيْ مَا تَفْهَمْنِي
غَيْرَ أَنِّي بِالشَّجَا أَعْرِفُهَا وَهِيَ أَيْضًا بِالشَّجَا تَعْرِفُنِي

(١) التَضَوِّعُ : انْتِشَارُ الرَّائِحَةِ الطَّيِّبَةِ . وَالشَّمَائِلُ : جَمْعُ شِمَالٍ وَهِيَ الرِّيحُ . أَيْ أَنَّ الرِّيحَ
تَنْبَعُثُ مَعْطَرَةً بِأَرْبَعِ هَذَا الرُّوْحِ .

(٢) كَذَا فِي ط . وَمِنْجَابُ السَّمَاءِ ، أَيْ سَمَاوُهَا صَافِيَةٌ . وَفِي ت : « مِنْجَافٌ » .

(٣) مُتَأَوِّدَةٌ : تَهْتِزُ وَتَمِيلُ . وَالْأَعْطَافُ : جَمْعُ عَظْفٍ ، وَهُوَ الْجَانِبُ .

(٤) فِي ت « ذِي » .

(٥) كَذَا فِي ت . وَفِي ط : « الْأَنْوَاءُ » . وَهِيَ النُّجُومُ ، وَقَدْ يَرَادُ بِهَا الْمَطَرُ .

(٦) لَا تَرْهَقًا (بِالْهَمْزِ وَسَهْلٍ) : لَا تَسْكُنُ .

(٧) الْوَرَقُ : الْحَمَامُ ؛ الْوَاحِدَةُ : وَرَقَاءٌ .

(٨) أَسْعِدْهَا : أَعْيِنْهَا عَلَى الْبُكَاءِ .

فَأَكْرِمَ بِهَا مِنْ ذَاتِ طَوْقٍ ، عَهْرَتْ عَمَّا فِي ضَمِيرِهَا مِنْ جَوِّيٍّ وَشَوْقٍ ،
فَسَاقتْ لَوَاعِجِ الْأَفْكَارِ أَى سَوْقٍ ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الصَّبِّ فَرْقٌ ، عِنْدَ ذَوَى الذَّوْقِ :

وَتَرَنَّمَتْ ذَاتُ الْجَنَاحِ بِسُحْرَةٍ بِالوَادِيَيْنِ فَهَيَّجَتْ أَشْوَاقِي
وَرَفَا تَعَلَّمَتْ الْبُكَاءَ وَالْبَثَّ مِنْ يَعْقُوبَ وَالْأَلْحَانَ مِنْ إِسْحَاقِ (١)
أَنْى تَضَاهِيَنِ هَوَى وَصَبَابَةٍ وَأَسَى وَفَرَطَ جَوَّى وَفَيْضَ مَآقِي (٢)
وَأَنَا الَّذى أُمِلِّي الهوى مِنْ خَاطِرِي وَهِيَ الَّتى تُعَلِّى مِنَ الْأورَاقِ

فَمَا كَانَ بِأَسْرَعٍ مِنْ تَمْزِيْقِ ذَلِكَ الْإِهَابِ ، وَحُصُولِ شَمْلِهِ فِي يَدِ الْإِتِهَابِ ،
وَإِنْشَادِ لِسَانِ خَالِهِ عِنْدَ الذَّهَابِ :

أَلَا إِنَّ هَذَا الدَّهْرَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ (٣) يَكْرَهُانِ مِنْ سَبْتٍ عَلَيْكَ إِلَى سَبْتِ
فَقُلْ لِجَدِيدِ الْعَيْشِ لَا بُدَّ مِنْ بَلَى وَقُلْ لِاجْتِمَاعِ الشَّمْلِ لَا بُدَّ مِنْ شَتِّ (٤)

وَهَكَذَا الدُّنْيَا إِخْلَاءٌ وَإِمْرَارٌ ، وَإِقْرَارٌ وَإِنْكَارٌ (٥) ، وَإِعْلَانٌ وَإِسْرَارٌ

تَعْنَى كُلِّ رُبْعٍ عَامِرٌ (٦) ، وَتَبَدُّدُ شَمْلٍ كُلِّ مَأْمُورٍ وَأَمْرٍ :

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجَّوْنَ إِلَى الصَّفَا أَنْيْسُ لَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةِ سَامِرٌ (٧)
بَعْدَمَا نَعِمْنَا بِرُهَّةٍ مِنْ [الزَّمانِ ، فِي ظِلَالِ (٨)] الْأَمَانِ ؛ وَقَطَعْنَا نُبْدَةَ مِنْ

(١) يعقوب : هو يعقوب النبي والد سيدنا يوسف عليهما السلام . وإسحاق : هو

ابن إبراهيم الموصلي ؛ من شيوخ المغنين في الدولة العباسية .

(٢) تضاهيني : تشاكاني . والمآقي : مجارى الدموع من العيون .

(٣) في ت : « ألم تر أن الدهر يوم وليلة » .

(٤) شت : تفرق .

(٥) في ط : « وإنكار وإقرار » .

(٦) تعنى : تطمس وتغير ، والربيع : المنزل والدار .

(٧) الحجون والصفاء : جبلان بمكة . وهذا البيت لعمر بن الحارث بن مضاخ .

(٨) زيادة عن ت .

الشباب ، في مواطن الأحباب ؛ ما بين دراسة ودراية ورواية ، وممارسة أمور
تُبعد عن طرق الغواية ؛ وتخبير طُروس ، وملازمة دروس ، ومثول بين يدي
أشياخ مجالستهم نامية الغُروس ؛ وخصوصاً شيخهم الذي [فضله^(١)] لا يفتقر إلى
دلاله ، عمنا مُفتيها سيدي سعيد بن أحمد المقرئ ، شَكَرَ اللهُ خِلالَهُ ، فهو شيخ
أولئك^(٢) الأعلام الذين وَرِثُوا العِلْمَ عن غيرِ كلاله^(٣) ، وعمروا ربوع المجد ،
وتَفَيَّمُوا ظِلَالَهُ ، وأرشدوا إلى سُبُلِ الهدى ، وأزاحوا عن الضلالة ، وعمَّرت
أرضهم بكل مجد وجلاله ، وإن نَبَتَ^(٤) بي لا عن جفوة وملايه ؛ فأها على
ذلك العصر ما أبهاه وأجمله ! وأتمه وأكمله ؛ عصر يكاد يُكَلِّمنا فيه الجمادُ ،
وَرُويَا التَّمَادِ^(٥) ؛ وتُحْيِينَا العَشِيَّاتِ والبُكْرَ ، ولا تَنقُتُنَا انْتِعَالَاتِ ولا الفِكرَ ؛
فإن سألنا فعنه في الحقيقة ، وإن صرَّحنا أو كُنِينَا ، فنغني حِجَاهِ وَعَقِيْقَهُ :

نُسَائِلُ عَنْ ثَمَامَاتٍ بِحَزْوِي وَبِأَنَّ الرَّمْلَ يَعْلَمُ مَا عَيْنِنَا^(٦)
وَقَدْ كُشِفَ الْغِطَاءُ فَمَا نُبَالِي أَصَرَ حُخْنَا بِذِكْرِي أَمْ كُنِينَا
وَلَوْ أَنِّي أَنَادِي يَا سُلَيْمِي لَقَالُوا مَا أَرَدْتَ سِوَى لُبَيْبِي
أَلَا لِلَّهِ طَيْفٌ كَانَ يَسْقِي بِكَاسَاتِ الْكُرَى زُورًا وَمِينَا
فَأَمْسِينَا كَأَنَّ مَا افْتَرَقْنَا وَأَصْبَحْنَا كَأَنَّ مَا التَّقِينَا

[٦]

وكنا نحسب أن الدهر لا يدور ، وأن الأعجاز صُدور ، والأهلة بدور ؛

(١) زيادة عن ت .

(٢) في ط : « هؤلاء » .

(٣) عن غير كلاله : أي باستحقاق . وفي ت : « لا عن كلاله » .

(٤) في ت : « نقت » .

(٥) التَّمَاد (ككتاب) : جمع تَمَد ، وهو الماء القليل .

(٦) التَّمَام : نبت قصير ضعيف لا يطول . وحزوي (بالضم) : جبل من جبال الدهناء .

والبان : الكثيب من الرمل .

حتى ضرب الدهر ضربانه^(١) ، وبدد الرفيق من ذلك الفريق وأبانه ؛ فلم تناوذ
قدود الأغصان ، ولم تترجح أعطاف البان ؛ وانقطعت الأسباب ، عن مواصلة
الجيران والأحباب ؛ الذين :

جَرَى^(٢) بعضهم ذات اليمين وبعضهم شِمَالاً وقلبي بينهم مُتَوَزِعٌ
فوالله ما أدري بليلى وقد مَضَتْ حُوهْمُ أَيَّ الفريقين أَتَّبِعُ؟
وهأنا الآن أحاول إطفاء لهيبِ الضلوعِ وَقَدْ^(٣) ، وأعالج أدواء سُقْمِ جَلِّ
وكيف لا وَقَدْ :

رُوِّعْتُ بِالْبَيْنِ حَتَّى مَا أُرَاعُ بِهِ وَبِالْمَصَائِبِ فِي أَهْلِ وَجِيرَانِي
لم يترك الدهر لي عِلْقًا أَضُنُّ بِهِ^(٤) إِلَّا رَمَاهُ بِفَقْدٍ أَوْ بِهَرَجَرَانِ
وفي هذا التاريخ الغريب ، وردت كتب من تلك الناحية حركت شَجْوُ
الغريب ؛ والشوق إلى لقاءهم ، والشوق إلى ما يرد من تِلْقَائِهِمْ ، يقتادان
القلب بزمام فينقاد ، ويوقدان نار الوجد بين الضلوع أي إيقاد :

هي الدار لا أصحوبها عن علاقة [لأمر لنا بين الجوانح مُضْمَرِ
فَادَ عَلَيَّ أَرْجَائُهَا الْغَيْثُ إِنَّهَا مَنَازِلُ جِيرَانِ كَرَامٍ وَمَعَشَرِ^(٥)
وكان من جملة فصولها ، وفروع أصولها ؛ طلب التعريف والإمام ، ببعض
أحوال الشيخ الإمام ، قاضي الأمة وعلم الأعلام ، محمد أرباب الحابر والأقلام ،
ومفخر علماء الإسلام ، ذي الفضائل التي استقلت رسومها^(٦) ، فلم تحتج إلى أعمال

(١) ضرب الدهر ضربانه : أحدث حوادثه .

(٢) في ت : « حدا » .

(٣) وقد : اتقد واشتعل .

(٤) في ت : « أظن » ، وهو تحريف .

(٥) ما بين القوسين ساقط في ت .

(٦) استقلت : علت قبانت وظهرت . والرسوم : جمع رسم ، وهي الآثار التي لا ظل لها .

الأعلام^(١) ؛ والمحاسن التي بهرت أقدارًا وشموسًا ، سيدي أبي الفضل عياض
ابن موسى ؛ الشهير الصيت في كل قطر ، صبَّ الله على مشواه من الرحمات
شأيب القطر :

فهو الإمام الذي سارت مآثره في الشرق والغرب سير الشمس والقمر
وكم له من تأليفٍ قد اشتهرت بكل قطر فسئل تُنبئك عن خبر

فقلت : مالي بهذا الأمر يدان ، ولو أيدنى كل قاص ودان ؛ وماذا عسى
أن أصف من جلالته يتهازل بشرها ، وجزالة يتضوع نشرها ؛ وبلاغة تبدَّ بلاغة
سحبان ، وبراعة تقاعس عن رتبها^(٢) الشيب والشبان ، وعلم أظهر غوامض
الحقائق وأبان ، وحلم أرسخ من رضوى وأبان^(٣) ؛ ومحاسن ، ماؤها غير آسن ،
وحلى ، حازت مراتب العلى ، ومصنفات ، مقرَّطات مُشَنَّفات^(٤) ، أعلاق
لا تعدلها الأثمان ، ولا تُشدَّ على مثلها الأيمان^(٥) .

على أنى لست من رجال هذا المجال ، ولا من فُرسان مَيِّدان الإحسان ؛
إذ الباعُ قصير ، والعقل بقواعد العلم^(٦) غير بصير ؛ والقلب حليف أشجان
وأوصاب ، والفكر أليف غصص تجرَّع منها جتى حنظلٍ أو صاب^(٧) ؛

(١) الأعلام : العلامات يهتدى بها في الطريق ؛ الواحد : علم .

(٢) في ت : « وثبتها » .

(٣) رضوى : جبل بالمدينة . وأبان : جبالان ، الأبيض والأسود ، بينهما نحو فرسخ ،
الأبيض لبني جريد من فزارة ، والأسود لبني والبة من بني الحارث بن ثعلبة . (انظر
معجم ما استعجم للبكري) .

(٤) مقرَّطات : ذات أفراط . ومشنفات ذات شنوف ، وهي الأفراط توضع في
أعلى الآذان .

(٥) الأيمان : جمع يمين ، وهي اليد اليمنى .

(٦) في ت : « العلوم » .

(٧) الصاب : شجر مر .

[٧] لا أستطيع إنشاء قول ، ولا أفكر^(١) إلا في همٍّ أو هول ؛ إلى ما دهم من الفتن ،
التي تحت ما بالدهر^(٢) من ازديان ؛ وطرق من الحن ، التي يُغنى عن خبرها العيان ؛
فتنوّعت منها الأعداد ، إلى أفراد وأزواج ؛ وكثر الترداد ، من الخطوب ذات
الجموع والأفواج ؛ وتفاقم وازداد ، هول بحورها المتلاطمة الأمواج :

حملنا من الأيام ما لا نطيقه كما حمل العظم الكسير العصائب^(٣)
وعصر رجونا منه إبداء منحة فأبدي ولكن منحة ومصائب^(٤)
وما حال من قرّت^(٥) المصائب عيونه دموعا وجوانحه جوى ، ورمته
النوائب^(٦) عن قسيّ النوى ؛ نفلع على الكواكب كراه ، وبرّح به الشوق
وبراه . وقطع ودح^(٧) صبره وفراه^(٨) ، واعتراه من دهره ما اعتراه ، وضاعف
ما به كذب حاسد^(٩) افتراه ؛ يأكل المحاسن ، ويجهل بمساويه أن يحاسن ؛
ويعيد الحق باطلا ، والحالي عاطلا ؛ ويقلب المنحة منحه ، ويرى المصافاة
إحنه ؛ يخاتل مخاتلة الذيب ، ويكدر مناهل الخلوص والتهديب ، ويقابل الحق

(١) في ت : « ولا فكر » .

(٢) في ت : « إلى فادح من الفتن التي تحت هابا الدهر » . وهو تحريف .

(٣) الكسير : المكسور . والعصائب : جمع عصابة ، وهي ما يلف حول الجبيرة ونحوها .

(٤) رواية هذا البيت في ت :

وعصر رجونا أن يجود بمنحة وإدراك آمال فأسدى المصائب

(٥) كذا في ط . وقرت : زودت ، من القرى ، وهو الطعام يقدم للضيف . وفي ت :

« وقرت » . ووقرت ، أي حملت (بالتضعيف) . والمعروف في هذا المعنى : أوقر .

(٦) في ط : « ورمته سهام النوائب » .

(٧) كذا في ط . والودج (محرّكة) : عرق في العنق . وفي ت : « وجد » .

(٨) فراه : قطعه .

(٩) في ت : « خاسر » .

الواضح بالكذب ؛ ويشغل بما لا يعنيه ، ويعرض عما يقربه إلى ربه
ويُرْزَقُهُ وَيُدْنِيهِ (١) :

لى حيلة فيمن ينمّ وليس للكذاب حيلة
من كان يخلق ما يقو لُ فحيلتى فيه قليله

إلى الله المُستكى من هذا وأضرابه ، ممن لم تصفُ مواردُ شرابه :

مضت أعمارنا ومضت سنونا ولم تغلر بذى ثقّير يدان
وجربنا الزمان فلم يُفدنا سوى التخويف من أهل الزمان

ولا عرو أن كان لأهل الزمان به اشتباه ، والله قولُ بعض أهل الذكاء

والتيقظ والانتباه :

والناس مثلُ زمانهم قدّوا (٢) الحذاء على مثاله

ورجال دهرك مثل دهرك فى تقليه وحاله

ولذا إذا فسد الزمان جرى الفساد على رجاله

أستغفر الله ، هذه نقشة مصدور ذى ألم ، أو هفوة مغمور ساعدها طغيان القلم :

ندمُ زمانًا ما له من جناية ونشكوه لو تُغنى عن المرء شكواه

ولا ذنب فينا للزمان وإنما جنينا فعوقبنا بما قد جنيناه

هو القدر الجارى على الكره والرضا فصبرًا وتسليمًا لما قدر الله

وقومنا أولى باللوم ، لو سلكننا سبيل خيار القوم : واقنعينا سنن القوى ،

وتمسكنا بحبل التوفيق الأقوى :

(١) فى ت : « يقربه لربه زلفى ويدنيه » .

(٢) كذا ط ولها محرفة عن : « حذو » أو « قد » وكلاهما مصدر بمعنى قطع

الشيء على مثال شيء آخر .

وما دارنا إلا مَوَاتٌ لَوْ أَنَا نَفَكَّرُ وَالْأُخْرَى هِيَ الْحَيَوَانُ
 شَرِينَا^(١) بِهَا عَزَابُهُونِ جِهَالَهُ وَشَتَانَ عَزْ لَفَتِي وَهَوَانِ
 وَحُقْ لِمَنْ عَلمَ تَقَلُّبَاتِ الدَّهْرِ بِأَهْلِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ ، أَنْ يَسْتَعْمَلَ مَا بَقِيَ مِنْ عُمرِهِ
 فِيمَا يُوصِلُهُ إِلَى مَنَازِلِ النِّعَمِ الْمُتَمِيمِ وَغُرُفَاتِهِ :

لِلدَّهْرِ قَوْسٌ لَا تَزَالُ سِيَّامُهَا تُصَيِّبُ الْأَنَامَ أَصَاغِرًا وَأَكْبَارًا
 طُوبَى لِمَنْ هَجَرَ الْقَبِيحَ وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا عَلَى فِعْلِ الْجَمِيلِ مَثَابِرًا
 جَعَلْنَا اللَّهُ ثَمَنَ ثَابِرٍ عَلَى فِعْلِ الْجَمِيلِ ، وَيَبْلُغُ مِنْ خَيْرِ الدَّارَيْنِ غَايَةَ التَّامِيلِ .

وحيث ورد على هذا الخطاب الذي تقدم ، وألقى ركن الاصطبار كاد يتهدم
 أو تهدم ؛ أضربت عن جوابه حيناً من الدهر ، وماطلت مُقْتَضِي دَيْنِهِ مِنْ
 يَوْمٍ إِلَى يَوْمٍ ، وَمِنْ شَهْرٍ إِلَى شَهْرٍ ؛ وَالْأَرْضُ تَمِيدُ اضْطِرَابًا وَاخْتِلَالًا ، وَالْأَحْوَالُ
 تَزِيدُ دَنَفًا وَاعْتِلَالًا ؛ وَأَنَا أَحُومُ عَلَى مَنَاهِلِ الْجَوَابِ حَوْماً ، وَأَرُومُ الْوُرُودِ فِي
 مَشَارِبِهَا الْعَذْبَةِ يَوْماً فَيَوْماً ؛ وَالْأَيَّامُ لَا تَسْمَحُ بِنَهْلِهِ ، وَلَا تَفْسَحُ^(٢) إِلَيْهَا فُسْحَةً ،
 وَلَا تَوْسَعُهَا مَهْلَهُ ؛ ثُمَّ وَقَعَ الْعَزْمُ وَالتَّصَمُّيمُ عَلَى جَوَابِ هَذَا السَّائِلِ ، رَاجِعًا مِنْ
 اللَّهِ سَبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرْبِ وَأَعْظَمِ الْوَسَائِلِ ؛ وَدَخَلْتُ مِنْ هَذَا
 الْبَابِ بَعْدَ أَنْ قَرَعْتُ ، وَأَخَذْتُ فِي هَذَا الْفَرْضِ وَشَرَعْتُ ، وَشَرِبْتُ مِنْ مَاءِ
 التَّصْنِيفِ وَكَرَعْتُ ، وَبَذَرْتُ فِي أَرْضِ التَّأْلِيفِ وَزَرَعْتُ ، هَذَا^(٣) مَعَ أَنِّي
 مَا مَهَّرْتُ وَلَا بَرَعْتُ ؛ وَلَا أَتَقَنَّتُ لِصِنَاعَةِ التَّأْلِيفِ عَمَلًا :

لَكِنْ قَدْرَةٌ مِثْلِي غَيْرُ خَافِيَةٍ وَالتَّمَلُّ يُعْذَرُ فِي الْقَدْرِ الَّذِي حَمَلًا
 وَكَثِيرًا مَا خَرَجْتُ مِنَ الشَّيْءِ إِلَى مَا يَنَاسِبُهُ وَيَدَانِيهِ ؛ وَرَبَّمَا أْبَعَدْتُ

(١) شرينا (هنا) : معنا .

(٢) في ت : « تفتح » .

(٣) هذه الكلمة « هذا » : ساقطة في ت .

النَّجْعَةُ^(١) ، ثم وقعت الأوبة والرجعة ؛ على رَغْمِ أَنْفِ قَالِي ذَلِكَ وشانيه ،
وقرّبت بذلك كله شاسعاً ، كي تسهل مثنوته على معانيه ، وهصرت أفنان
الفاظه ومعانيه ؛ ليقرّب اقتطافه لجانيه ؛ وسميته^(٢) « بأزهار الرياض ، في أخبار
عياض ، وما يناسبها مما يحصل به ارتياح وارتياض » ؛ تسمية وافقت إن شاء الله
معناه ، وناسبت منزله ومعناه ؛ لأنه جمع أزهار ذات ألوان ، من وُرْدٍ وأُخْرَانٍ ؛
وبهار^(٣) ، عَرَفَهُ ذُو انْتِشَارٍ^(٤) ؛ وَمَنْشُورٍ ، رَوْضِهِ مَرْبِيعٌ^(٥) مَمْطُورٌ ، وَنِسْرِينَ^(٦) ،
يَفُوقُ أَرْجَهُ مِسْكَ دَارِينَ^(٧) ؛ وَأَسٍ^(٨) ، عَاطِرِ الْأَنْفَاسِ ؛ وَشَقِيقٍ^(٩) ، خَلِيقٍ
بِالْمَدْحِ حَقِيقٍ ؛ وَنَيْلُوفَرٍ^(١٠) ، حَازَ مِنَ الْحَمْسَنِ النَّصِيبَ الْأَوْفَرَ ؛ وَأَجْرِيْتُ
جَدَاوِلَ أَنْهَارٍ ، مِنَ الْحِكَايَاتِ لَسَقَى هَذِهِ الْأَزْهَارَ ؛ فَأَيْنَعَ النُّوَارَ ، وَتَأَلَّمْتُ الْأَنْوَارَ ،
وَتَهَنَّنْتُ النَّظَرَ بَيْنَ أَنْجَادٍ وَأَعْوَارٍ ، وَلَمْ يَدِّرْ وَقَدْ انْتَقَلَ مِنْ أَطْوَارٍ إِلَى أَطْوَارٍ ،
وَتَأَمَّلَ صَرَخًا^(١١) بُنِيَ عَلَى غَيْرِ [شَفَا]^(١٢) [جُرْفٍ هَارٍ :

أُضْيَاءَ هَدَى أُمَّ ضِيَاءِ نَهَارٍ وَشَذَا الْمَحَامِدِ أُمَّ شَذَا الْأَزْهَارِ

(١) النجعة (بضم النون) : الارتياح والطلب .

(٢) كُنَّا فِي تٍ وَهُوَ مِرَافِقٌ لِلْمَصْنُوعِ الَّتِي يَعْلَمُ . وَفِي ط : « وَوَسْمِيَّتِهِ » .

(٣) الْأُخْرَانُ : نَبْتٌ طَيِّبُ الرَّيْحِ ، لَهُ نُورٌ أَيْبِضٌ كَأَنَّهُ نَعْرٌ جَارِيَةٌ حُدُودَ السَّنِّ ، وَهُوَ
الْبَابُونَجُ بِالْفَارْسِيَّةِ . وَالْبِهَارُ : نَبْتٌ جَعْدٌ لَهُ فِقَاحَةٌ صَفْرَاءٌ ، طَيِّبُ الرَّائِحَةِ .

(٤) فِي ت : « ذُو اسْتِهَارٍ » .

(٥) مَرْبِيعٌ : خَصِيبٌ .

(٦) النَّسْرِينَ (بكسر النون) : وَرْدٌ أَيْبِضٌ عَطْرِي الرَّائِحَةِ .

(٧) دَارِينَ : فِرْضَةٌ بِالْبَحْرَيْنِ ، يَجْلِبُ إِلَيْهَا الْمَسْكُ مِنَ الْهِنْدِ . (عَنْ مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ) .

(٨) الْأَسُ : الرَّيْحَانُ .

(٩) الشَّقِيقُ : نَبَاتٌ أَحْمَرُ الزَّهْرِ مَبْعَعٌ بِنَقْطِ سَوْدٍ . وَفِي ط : « وَالشَّقِيقُ » .

(١٠) النَّيْلُوفَرُ (بفتح النون المشددة وكسرهما) : نَبَاتٌ مَائِيٌّ ، لَهُ سَائِقٌ أَمْلَسٌ ، فَإِذَا سَاوَى

سَطَّحَ الْمَاءَ أَوْرَقٌ وَأَزْهَرَ زَهْرًا أَيْبِضًا ، وَسَطَّهُ زَعْفَرَانِي اللَّوْنِ .

(١١) فِي ت : « صَرَخًا » بِالسُّنَنِ .

(١٢) زِيَادَةٌ عَنِ ت .

وقد أفصح ترُجُمان التراجم عن عدّها^(١) وسرّدها ، ولوَّح لُنسكُنة الاختتام بنيالوفرها والافتتاح بوَزدها .

وهي هذه الترجمة :

الأولى : روضة الورد ، في أولية هذا العالم الفرد .

الثانية : روضة الأخوان ؛ في ذكر حاله في المنشأ والعنفوان .

الثالثة : روضة البهار ، في ذكر جملة من شيوخه الذين فضلهم أظهر من شمس النهار .

الرابعة : روضة المنثور ، في بعض ماله من منظوم ومنثور .

الخامسة : روضة التّسرين ، في تصانيفه العديمة النظير والقرين .

السادسة : روضة الآس ، في وفاته وما قابله به الدهر الذي ليس لجُرُحه من آس .

[٩]

السابعة : روضة الشّقيق ، في جمل من [فوائده ، ولمع من^(٢)] فرائده ، المنظومة نظم الدرّ والعقيق .

الثامنة : روضة النيوفر ، في ثناء الناس عليه وذكر بعض مناقبه التي هي أعطر من المسك الأذفر .

فدونك أيها الناظر^(٣) روضات أزهار ، وجنات تجري من تحتها الأنهار ؛ أبوابها ثمانية ، وقطوفها دانية ؛ تعطرّ منها نسيم الصّبَا بزهر الآداب ، وسما إلى

(١) في ط : « عددها » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) في ت : « أيها الأخر الناظر » .

مَحَاسِنِهَا مِنْ تَعَلَّقَ مِنَ التَّارِيخِ بِأَهْدَابِ^(١) ؛ لَمْ أُسَبِّقْ إِلَى مِثْلِهَا فِيهَا رَأَيْتُ ، وَإِنْ
بَعُدَتْ فِيهَا عَنِ التَّمْهِيعِ الْمَطْرُوقِ وَنَأَيْتُ ؛ وَالْإِنْسَانَ مُغْرَمَ^(٢) بَيْنِيَّاتِ أَفْكَارِهِ ،
وَإِنْ قُوبِلَ مَا صَدَرَ مِنْهُ بِإِنْكَارِهِ ؛ وَقَدْ أُنْشِدَتْ بِلِسَانِ حَالِمِهَا ، مَخَاطَبَةٌ مِنْ رِضَى
بِاتِّسَابِهَا وَاتِّجَاهِهَا :

سَرَّحَ جُفُونَكَ فِي الْحَدَا	ثِقَ وَأَجْنِ أَزْهَارِ الرِّيَاضِ
مِنْ وَرْدٍ أَحْمَرَ أَوْ شَقَا	ثِقَ أَوْ بَهَارٍ ذِي بَيَاضِ
وَأَشْرَبَ بِكَاسَاتِ الرَّقَا	ثِقَ مِنْ عُيُونِ أَوْ حِيَاضِ
وَانظُرْ مَنَاقِبَ ذِي الْحَقَا	ثِقَ عَالِمِ الدُّنْيَا عِيَاضِ

وَإِكَرَعِ بِمَاءِ التَّعْرِيفِ زُلَالَا ، وَأَدِرْ كَأْسَ التَّشْرِيفِ حَلَالَا ؛ وَأُرَوِّعُ مِنْ هَذَا
النَّهْرِ ، وَأَقْطِيفُ مَا شَتَّتْ مِنْ أَصْنَافِ الزَّهْرِ ؛ وَأَخْطِرُ هَذِهِ الرُّوْضَةَ بِبَالِكَ ، وَأُدِرُّ
إِلَيْهَا وَجَهَ قَبُولِكَ وَإِقْبَالِكَ ؛ فَمَوْلُفُهَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِمُصِيبِ ، وَلَا مَنِ لَهُ فِي
الإِجَادَةِ حِظٌّ وَافِرٌ وَلَا نَصِيبٌ^(٣) ، فَمَنْ أَلْفَتَ فِيهِ تَحَسُّنَ بِإِحْسَانِهِ وَتَنَالَ^(٤)
المرعى الخَصِيبِ :

سَلَامٌ مِثْلُ عَرْفِ الْمِسْكِ طِيبًا	وَحُسْنًا مِثْلُ أَزْهَارِ الرِّيَاضِ
عَلَى لَفْظِ الْجَلَالَةِ وَالْمَعَالَى	إِمَامِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا عِيَاضِ ^(٥)
إِذَا مَا قَيْسَ بِالْعُلَمَاءِ طُرًّا	غَدَا بِحَجْرًا وَأَصْحَوَا كَالْحِيَاضِ

(١) في ت : « قطعاً إلى محاسنها من تعلق من التاريخ الأهدياب » . وهي
ظاهرة التحريف .

(٢) في ت : « يقرع » وهو تحريف .

(٣) في ط : « وافر ونصيب » .

(٤) أشير في هامش ط فوق هذه الكلمة إلى رواية نسخة أخرى ، وهي : « وترعى » .

(٥) رواية الشطر الثاني من هذا البيت في ت : « ومعنى المجد والعليا عياض » .

وكنت حين شرعت في هذا المجموع السامى ، وأطلعت على بعضه صاحبنا
 الفقيه العلامة الأصيل الحاجّ الرَّحَال ، أبا الحسن سيدي عليّ بن أحمد الخَزْرَجِيّ ،
 الشامى ، حفظ الله كماله ، وبلغه آماله ، خاطبني بقصيدة من نظمه ، أشمأه الله ،
 ألمّ فيها بذكر هذا الموضوع بما يقتضيه شرفُ خِلاله ، وكرمُ جلاله ؛ وأشار فيها
 إلى نقضِ عَزْمِ الرِّحْلَةِ التي نَوَيْتَ إِذْ ذَاكَ^(١) للمكان الشريف ، لا حرمانا^(٢) الله
 من^(٣) مُشاهدته عن قُرب ، في حفظ وعافية ، بَمَنِّهِ وَيُمْنِهِ . وهى هذه ، وأنشدنيها
 من لفظه ، وكتبها بخطه ، وأرسلها إلى ، شكر الله صنيعة :

أَمُنْتِي الغرب أبْدَعْتُمْ طَرَاظًا نَثَرْتُمْ فِيهِ أَزْهَارَ الرِّيَاضِ^(٤)
 وَنَظَّمْتُمْ عُقُودًا مِنْ لَأَلٍ لَجِيدِ حُلَى الْمَآثِرِ مِنْ عِيَاضِ
 وَأَوْرَقْتُمْ غُصُونًا عُلَاهُ لَمَّا سَقَّاهَا فِكْرُكُمْ سَقَى الْحِيَاضِ^(٥)
 وَنَمَّ قُمْ مَطَارِفِ مَا رَأَيْنَا كَطَرَّتْهَا سَوَادًا فِي بِيَاضِ^(٦)
 وَنَادَيْتُمْ عَقَائِلَهُ فَذَلَّتْ شَوَامِسُهَا إِلَيْكُمْ بَارِئِيَاضِ^(٧)
 وَأَسْتَسْتُمْ مِنَ الْآثَارِ طُرًّا قَوَاعِدَ لَا تُسَاوِمُ^(٨) بَانْتِقَاضِ
 لَكَ التَّبْرِيْزِ فِي الْعُلِيَاءِ فَاقْضِ عَلَى عُلَمَائِهَا مَا أَنْتَ قَاضِي

[١٠]

- (١) فى ت : « ذلك » .
 (٢) فى ت : « لا أحرمانا » .
 (٣) المسموع أن الفعلين (حرم ، وأحرم) يتعديان بنفسهما إلى مفعولين .
 (٤) الطراز : علم الثوب ، أى ما فيه من نقش .
 (٥) جاء بالفعل « أورق » هنا متعديا ، وهو لازم .
 (٦) الطرة : نقش فى الثوب يخالف لونه ، يمتد على الجانبين .
 (٧) العقائل : جمع عقيلة ، وهى النجيبه الكريمة ، والشوامس : جمع شامسة ، وهى المنفعة .
 (٨) كذا فى ط . ولا تساوم بانتقاض ، أى لا يطمع فى نقضها ، من المساومة ، وهى المجاذبة بين البائع والمشتري . وفى ت : « لا تسام » ، لإلا أن الوزن لا يستقيم بها .

تَبَدَّيْتُمْ بِهَا بَدْرًا وَحُزْتُمْ خِصَالِ سِبَاقِكُمْ^(١) دُونَ اعْتِرَاضِ
نُعَيْتُمْ بِالْكَمَالِ بَغَيْرِ عَطْفٍ وَكُلُّهُمْ بِذَلِكَ النَّعْتِ رَاضِي
وَمَا وَفَّوْا بِحَقِّكُمْ وَلَكِنْ يُؤَدِّي الْبَعْضُ مِنْ بَعْضِ افْتِرَاضِ
بِعِلْمِكُمْ شَفَيْتُمْ أَرْضَ غَرْبِ وَكَانَتْ ذَاتَ أَحْشَاءِ مِرَاضِ
وَلَمَّا أَنْ بَدَأَ مِنْكُمْ فِرَاقٌ تَوَقَّعْتَ أَنْ يَتَوَلَّوْا إِلَى افْتِرَاضِ
وَأَنَّ نُجُومَهَا بِالْبُعْدِ يُخْشَى عَلَيْهَا مِنْ سُقُوطِ وَأَنْقِرَاضِ
فَأَرْسَلَ شَافِعًا خِلًّا حَشَّاهُ بِهَذَا الْبُعْدِ أَمْسَتْ فِي انْقِرَاضِ
يُذَكِّرُكُمْ لِيَأْتِيَ نِيَّاتِ بِأَنْسِكُمْ تَنْبِيرِ دُجَى الْمُضَاضِ^(٢)
يُودُّ الطَّرْفُ يَجْعَلُهَا اِكْتِحَالًا مَكَانَ سَوَادِهِ دُونَ اغْتِرَاضِ
بِحَقِّ اللَّهِ لَا تُبَدِي دُجَاهَا بَغِيْبَةً بَدْرُكُمْ بَعْدَ اِتِّمَاضِ^(٣)
وَلَا تُهْمِلْ شِفَاعَةَ مُسْتَهَامِ صَدُوقِ الْوُدِّ فِي آتِ وَمَاضِي
وَدُمْ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا إِمَامًا وَبِحَرِّ هُدَىٰ عُلُومِكُمْ فِي افْتِيَاضِ
يَعْمُ الْأَرْضَ مَا لَاحَتْ^(٤) مُدَوَّرٌ وَمَا فَاحَتْ أَزَاهِرُ فِي رِيَاضِ

يَكْرَعُ مِنْهُ الْمَمْلُوكُ عِلًّا وَنَهْلًا ، وَيَضْرَعُ فِي الْجَوَابِ فِعْلًا لَا قَوْلًا ؛ وَيُعِيدُ
السَّلَامَ التَّامَّ ، الزَّكِيَّ الْعَامَّ ، عَلَى الْمَجْلِسِ الْعَالَمِيِّ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ .

انتهى ما كتب به صانه الله ، وأضفى عليه حلل المجد .

(١) في ط : « سباقهم » .

(٢) المضاض (بالضم) : وجع يصيب العين (كما في شرح القاموس) ؛ ويريد بدجي
المضاض : ما يجده المريض بعينه من سواد حاله .

(٣) اتماض : بريق ولعان ؛ وهو افتعال من ومض . وفي ط « اتماض » ، والصواب
ما أثبتناه .

(٤) في ن : « ما دامت » .

وقد ذكرتُ في هذا الكتابِ حكاياتٍ مختلفة ، وفنوناً مفيدة^(١) ، يزداد الناظر بها معرفة [حسبها^(٢)] جرت بذلك عادة كثير من الأئمة في مُصنَّفاتهم ، ومجالس دَرَسهم . وقد قال الماوردي ، أفضى القضاة في كتاب آداب الدين والدنيا^(٣) : القلوب ترتاح إلى الفنون المختلفة ؛ وذكر أن المأمون كان ينتقل في قصره من موضع إلى موضع ، ويُنشد قولَ أبي العتاهية :

لا يُصلِحُ النفسَ إذ كانت مُدبِّرةً إلا التَّنقلُ من حالٍ إلى حالٍ^(٤) [١١]

وقال أبو حنيفة : الحكايات عن العلماء أحبُّ إليَّ من كثير من الفقه ، لأنها آداب القوم . وقال الشيخ سيِّدنا أبو القاسم الجنيد ، رضى الله عنه ، ونفعنا ببركاته : الحكاياتُ جُند من جنود الله ، يُقوى الله بها أبدان المرَّيدين . وقال الإمام المواق^(٥) في كتابه المسمَّى «سند المهتدين^(٦)» عن شيخه الممتورى ، بسنده إلى أبي العباس بن العريف ، قال : كنت في مجلس أستاذي أبي علي الصِّدفي^(٧) أقرأ عليه الحديث ، فقرأ يوماً الحديث ثم أغلق الكتابَ وجعل

(١) في ت : « حكايات عظيمة ، وفنون بديعة » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) هو كتاب « أدب الدنيا والدين » كما في كتب الفهارس .

(٤) النفس المدبرة : المشغولة بالتفكير في الأمور .

(٥) كذا في ط . والمواق ، هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أبي القاسم خطيب غرناطة . وفي ت : « المواق » وهو تحريف .

(٦) كذا في ط . وهو « سند المهتدين في مقامات الدين » . والكتاب محفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٨٣٥ تصوف . وفي ت : « سنن المهتدى » وهو تحريف .

(٧) هو القاضي أبو علي حسين بن محمد بن حيون بن فيرة الصدفي السرقسطي ، يعرف بابن سكرة ويا بن الدراج . لم يكن بشرق الأندلس في وقته مثله في تقييد الحديث وضبطه ، والعلو في روايته . توفي سنة ٥١٤ هـ . (راجع بغية المنتس للضبي ، ونفح الطيب للمؤلف ، والصلة لابن بشكوال) .

يحكى حكايات^(١) الصالحين ، فوقع في نفسي : كيف يُجيز الشيخُ أن يتقطع حديثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحكى الحكايات ؟ قال : فما تمَّ لي الخاطرُ حتى نظر إلى^(٢) الشيخ شزرأ ، وقال : يا أحمد ، الحكاياتُ جُندٌ من جنود الله يثبَّت الله بها قلوبَ العارفين من عباده . قال : فما بقى في جسدى شعرةٌ إلا قطرَ منها العرق . فلما رأني دهشت ، قال لي : يا أحمد ، أين مُصداق ذلك من كتاب الله ؟ قلت : الشيخ أعلم ؛ قال : قوله تعالى : « وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ » الآية . انتهى .

وهذا آوان الشروع ، وعلى الله قصد السبيل ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

(١) كذا في ت وسند المهتدين . وفي ط : « حكاية » .

(٢) كذا في سند المهتدين ، وفي الأصلين : « نظرني » .